أربعون درسًا مستفادًا:

حتَّى لا تَغْرِقَ السَّفينَةُ

تأليف

أسامة بدوي

(سفينة النجاة، وأساليب خرقها في هذه الأيام)

obeikandl.com

حقوق الطَّبع والنَّشر

محفوظة للمؤلِّف

(الطَّبعة الأولى)

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

مكتبة البلد الأمين:

تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

** مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤

دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

obeikandl.com

مقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه تفصيلًا وتبيانًا لكل شيء، وأرسل رسوله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي علَّمنا كلَّ شيء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى كل من تمسَّك بسنَّته، واتَّبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد بيَّن لنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان، وما هو كائن إلى يوم الدين، هكذا في جلسة جلسها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم مع أصحابه، من بعد صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، ولا يقطع حديثه سوى الصلاة، يعلِّم الأمة، ويحكي كل شيء كائن إلى قيام الساعة.

ومن هذا البيان النبوي البديع البليغ هذا الحديث الذي به من الدروس والعبر ما نتلمس به المخرج من الفتن التي نمرُّ بها، وكيفيَّة النجاة من تلك الأزمة، ونأخذ منها الدواء الشافي لعلل الأمة المسلمة وأمراضها، كما نجد فيها العصمة من الضلال، ووصفًا دقيقًا لهذه الأمة الخاتمة، خير أمة أخرجت للناس.

أربعون درسًا مستفادًا من هذا الحديث الجليل العظيم، نترسم فيها خريطة النجاة، وخطط المستقبل، وكيفيَّة عودة الأمة إلى وحدتها بتوحيدها وعبادتها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ

﴿ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

وكما ورد في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور].

وأهل الصلاح لن يتحقق لهم ميراث الأرض والتمكين فيها إلا بعد علاج العلل التي تقدح في صلاحهم، ومنها:

١ـ تصوُّرهم للحياة وإدارتها من منظور بعيد عن القرآن والسنة، اللَّذَينِ لو احتكموا إليهما فلن يضلوا أبدًا.

٢ـ أن صلاحهم لابد أن يتعدَّى إلى الإصلاح، والنهي عن المنكر والسوء، والأمر بالمعروف، والنصيحة.

٣ـ ألا يكون دينهم المصلحة والهوى، وأن تكون مصلحتهم في دينهم واتباع الوحي.

٤ـ تحقيق التميُّز والألفة والتآلف والوحدة والاعتصام حول التوحيد،

وكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم.

٥ـ تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة حول: الجهاد، والحكم، والخلافة، والدعوة، وحكمة السيف، وسيف الحكمة، وعالميَّة الإسلام، (بدلًا من العولمة الصليبيَّة)، وشمول هذا الدين وإخضاع السياسة له، لكي تَصلُحَ وتُصلِحَ. وفي ذلك ردٌّ للمقولة المقيتة الباطلة (**لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين**).

وكذلك كثير من المفاهيم حول: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيفيَّة تغيير المنكر، وأن يكون الشرع حجة على العلماء والفقهاء وعامة الناس.

٦ـ تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة، بين الدين والدنيا، بين الشرع والعلم، والاهتمام بالتعليم الشرعي، كاهتمام الناس حتى اليوم بالتعليم المادي في المدارس والجامعات.

٧ـ محاربة الشرك والتبرؤ من أهله، وجهاد الكفار والمنافقين بالحجة والبيان والسِّنان.

٨ـ عودة الإيمان بالله تعالى الذي آمن به أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى

﴿شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ [البقرة].

هذا الإيمان الذي يشبه إيمان الصحابة هو سبب الخيريَّة، وسبب العِزَّة والعلوِّ، وسبب راحة البال، والسعادة في الدنيا والآخرة.

٩ـ قطع دابر الخلاف والشقاق والتنازع والتناحر والتناجز بمعرفة أن الحقَّ واحدٌ لا يتعدَّد، وهو ما قام على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة، بعيدًا عن التأويل الفاسد، واتِّباع الهوَى، والتحزُّب.

١٠ـ عدم الاعتماد على الكثرة الغوغائيَّة، والاهتمام بالقلَّة المؤمنة الثابتة تربويًّا وعلميًّا وعقائديًّا، فعليها المعول - بعد الله تعالى - لهدم صروح الباطل وأوثان الجاهليَّة، وإقامة صرح الإسلام على قواعده الأصليَّة الصحيحة، ورفع رايته خفَّاقة عالية على سائر ما عداها.

كل ذلك نتعلمه من هذا النبع النبوي الصافي، سائلًا المولى ﷻ أن ينفعني به والمسلمين، وأن يردَّنا إلى الحق، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم. وصلِّ اللَّهم على النبيِّ محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أسامة محمد بدوي البراجة

❁ ❁ ❁

openkandil.com

بسم الله الرحمن الرحيم

روى الإمام البخاري عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا }**[1].

❁ ❁ ❁

• **والنعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو: النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرِ ابْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيُّ، كَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ لِلْأَنْصَارِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، أُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، لَهُ وَلِأَبَوَيْهِ صُحْبَةٌ، تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهُ ثَمَانِ سِنِينَ وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ، كَانَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ فِي عَهْدِ مُعَاوِية، قُتِلَ بِحِمْصَ سَنَةَ (٦٠) هـ[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الشركة، ب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح (٢٤٩٣).
والإمام البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري توفي ٢٥٦هـ، وكتابه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه.
(٢) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم (٥/ ٢٦٥٨).

• **وأبوه**: هو بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، أَبُو النُّعْمَانِ، أَنْصَارِيٌّ، عَقَبِيٌّ بَدْرِيٌّ، وَهُوَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جِلَاسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلُ أَنْصَارِيٍّ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُتِلَ يَوْمَ عَيْنِ التَّمْرِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَامَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، رَوَى عَنْهُ النُّعْمَانُ ابْنُهُ، وَجَابِرٌ، وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَالشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُمْ [1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق (١/ ٣٩٨).

obeikandl.com

الدروس المستفادة من هذا الحديث:

الدرس الأول: هذا التشبيه مِنَ الأمثال النبويَّة التي تحدِّد طوق النجاة للأمة المسلمة.

وسفينة الأمَّة لن تغرِق أبدًا، لأن الله تعالى وعد نبيَّه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ هذه الأمَّة لن تهلك بسَنَةٍ عامة.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا }**[1].

وفي رواية: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: هلاك هذه الأمَّة بعضهم ببعض، ح (٢٨٨٩).

وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا }[1].

• يحذِّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا التشبيه الأمَّة المسلمة مِنْ خطورة الإهمال في حدود الله، وخطر المفسدين في الأرض، وعدم الأخذ على أيديهم، وأنَّ سُنَّة العذاب قد تقع على الأمَّة بسبب الإهمال في الدور المنوط بالحكام والدعاة والعامة في: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم، ونُصرة المظلوم، وإظهار الحق.

والحديث يدعونا إلى معرفة الأفكار والأعمال التي يتم بها خرق السفينة حتى نتجنَّبها ونحْذَر منها.

❁ ❁ ❁

والأمثال يضربها الله سبحانه في كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ

---

(١) المصدر السابق، ح (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٤٣﴾ [العنكبوت].

• وضرب الله تعالى مثلًا بالبعوضة فما فوقها، ومثلًا بالكلمة الطيبة كالشجرةالطيبة، ومثل العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، ومثل القرية الآمنة المطمئنة، ومثل صاحب الجنتين، ومثل أصحاب القرية في سورة (يس)، ومثلًا لإحياء العظام وهي رميم، ومثلًا رجلًا له شركاء متشاكسون ورجلًا سَلَمًا لرجل، ومثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، ومثلًا للذين آمنوا: امرأت فرعون ومريم ابنت عمران، ومثلًا بالإخلاص والإنفاق كصفوان عليه تراب، ومثلًا كالكلب وآخر كالحمار، وثالث كالأنعام، ومثل المنافق الذي استوقد نارًا، ومثل الصحابة في التوراة والإنجيل، ومثل الجنة التي وعد المتقون.

• **والسُّنَّة كذلك مليئة بالأمثال، من أشهرها:**

حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو موضوع هذا الكتاب، ومثل المؤمن كالنخلة، ومثل قارئ القرآن كالأترجة تارة، والتمرة تارة أخرى، وكالريحانة، والحنظلة، ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحيِّ والميِّت، ومثل الأمة في آخر الزمان كالأَكَلَةِ في القصعة يوشك أن تتداعَى عليها الأمم، ومثل المؤمنين في توادِّهم

وتراحمهم كالجسد الواحد، ومثل الأمة كالمطر والغيث، ومثل الصراط المستقيم بالصراط الذي له سوران لهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور، إلى غير ذلك.

• فوائد الأمثال:

وفي ضرب الأمثال فوائد عديدة، منها:

١- تنبيه للعقل وتحفيز له.

٢- تقريب للمعنى وتثبيتًا وتشويقًا.

٣- توضيح الصورة لكثير من الأعمال قبل عملها، وبيان الجزاء عليها.

٤- باب كبير من أبواب العلم.

٥- للتذكرة والعظة والعبرة.

ولقد كُتِبَ في هذا الموضوع كثيرٌ من الكتب والمراجع، مما يدل على أهميته، وأنه باب مُهِمٌّ من أبواب العلم.

❁❁❁

obeikandl.com

الدرس الثاني: أن الذي يقع في الحدِّ يكشف السِّتر:

عن **النواس بن سمعان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، عَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس]. وَالأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللهِ، فَلَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ }[1].

• والسِّتر مِنَ الأعمال المحبوبة إلى الله تعالى، والتي يُحبُّها في عباده، فالوقوع في الحرام، أو تعدِّي حدود الله، أو الاقتراب منها يكشف عيوب الإنسان وعوراته.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الأمثال، ب: مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللهِ لِعِبَادِهِ، ح: (٢٨٥٩)، وقال: حديث حسن غريب.

فانظر إلى العلاقة بين: معصية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أكل مِنَ الشجرة وظهور عوراتهما، وكان غرض الشيطان وهدفه من هذا الإغراء بالأكل من الشجرة هو إظهار عوراتهما.

فكما يُحب الله من العبد أنْ يستر عورته عن أعين الناس، وسمعته وسيرته عن ألسنة الناس، فعليه ألَّا يتجرَّأ على حدود الله تعالى.

وستر العورة فرض في الجملة: عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحْمِلُهُ ثَقِيلٍ وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ، قَالَ: فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الْحَجَرُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ ارْجِعْ إِلَى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ، وَلَا تَمْشُوا عُرَاةً }**[1].

والله ﷻ يُحب السِّتر على العصاة، ويأمرنا بذلك وغالبًا لا يفضح العبدَ مِنْ أول مرَّة أو ثاني مرة، أو حتى عاشر مرة، حتى يعطيه الفرصة للتوبة والرجوع إليه، والندم على أفعاله.

كذلك لا يُحب الله ﷻ عبده الذي يفضح نفسه بما ارتكب من المعاصي، وقد ستره الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الحيض، ب: الاعتناء بحفظ العورة، ح: (٣٤١).

يَقُولُ: { كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ }[1]، فالسِّتر مِنَ الأعمال التي يُحبُّها الله تعالى.

فاحذر مِنَ الجرأة على حدود الله، أو الوقوع فيها، وإنْ أصابك شيء مِنْ ذلك [نسأل الله لنا ولك العافية] فبادِرْ بالتوبة والندم والإصلاح، والعزم على عدم العودة، والمحافظة على ستر الله تعالى عليك.

❁ ❁ ❁

الدرس الثالث: استواء القريب والبعيد في إقامة الحدود:

عَنْ **عبادة بن الصامت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ** }[2].

فيكون الحاكمُ قائمًا عليها في المدن، ويكون أمير الجيش قائمًا عليها في الغزو والسفر.

وإقامة الحدود أمر مِنَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، وهو يحتاج إلى

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الأدب، ب: ستر المؤمن على نفسه، ح: (٦٠٦٩)، ومسلم، ك: الزهد والرقائق، ب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، ح: (٢٩٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه: ك: الحدود، ب: إقامة الحدود، ح (٢٥٤٠)، وحسَّنه الألباني.

قوة تحمي الحق، وتغار عليه، ولا يأخذها في الله لومة لائم، سواء مِنَ الأعداء أو الأصدقاء.

❁ ❁ ❁

الدرس الرابع: في إقامة الحدود تعجيل ثمرة السياسة:

• فمِنْ أهم أهداف السياسة الرشيدة: تحقيق الأمن الاجتماعي والاقتصادي والعسكري، والعمل على توفير السلع والخدمات للناس.

مِنْ ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا }**[1].

• مِنْ أهم أهداف السياسة الرشيدة: حماية المجتمعات مِنْ أسباب الهلاك، وسُنن الدمار، لذلك كانت المداهنة في إقامة الحدود عائدة بنقيض مصلحتها مِنْ حلول النقمة بها عاجلًا.

فعن **عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا **أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ**، حِبُّ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه النسائي في ك: قطع السارق، ب: الترغيب في إقامة الحد، ح: (٤٩٠٥)، وابن ماجه في ك: الحدود، ب: إقامة الحدود، ح: (٢٥٣٨)، وابن حبان في صحيحه، ح (٤٣٩٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٣٠).

فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَتَشْفَعُ فِي حَدٌّ مِنْ حُدُودِ الله }، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: { إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا }[1].

فانظر إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ }، فقد كان مِنْ أسباب الهلاك: الشفاعة في تعطيل إقامة الحدود، **فما جزاء أمة منعت الحدود وعطلتها وحاربتها؟!**

وتأمَّل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ } مع أنها مِنْ أحبِّ الناس إليه، وقُرَّة عينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفلذَّة كبده، وهي الوحيدة من بناته التي ظلَّت على قيد الحياة حتى فراقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدنيا، وتأمَّل كيف ذاق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألم فراق جميع أبنائه في حياته، ومع ذلك كله فقد افترض أمرًا - لم ولن يحدث - في أنَّ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لو تجاوزت أي حَدٌّ من حدود الله لأقام عليها الحدَّ بنفسه.

• وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله

---

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: حديث الغار، ح (٣٤٧٥)، ومسلم: ك: الحدود، ب: قطع السارق الشريف وغيره، ح (١٦٨٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ ﷻ ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ الله حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ }**(١).

• كما أنَّ قبول الشفاعة في الحدود هو مِنْ باب إرضاء الناس بسخط الله تعالى.

كَتَبَ مُعَاوِية إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِية: « سَلَامٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ }**، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ» (٢).

• وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أرضاهُ فِي سَخَطِهِ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى**

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الأقضية، ب: فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، ح (٣٥٩٧)، وأحمد، ح (٥٣٨٥)، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب الزهد، ح (٢٤١٤)، وصحَّحه الألباني.

عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ }[١].

❁ ❁ ❁

الدرس الخامس: إقامة الحدود ولاية مخصوصة بالسلطان، والقضاة، ويقيمها أمير الجيش ببلاد الحرب على أهل الجيش (مثل السرقة في الغنيمة وغيرها).

وعلى الأمَّة مطالبة الحكَّام والأمراء والقضاة بإقامة الحدود، وإلَّا طالبوهم بترك الولاية لمن يستحقها، ويقيم شرع الله تعالى عليهم.

لأنَّ مهمة الحكام في الإسلام هي:

(١) إقامة الشريعة.

(٢) إصلاح أمر الناس، والقيام بينهم بالعدل والقسط.

ومطالبتهم بإقامة الحدود هو مِنْ باب تغيير المنكر، فمَنْ رأى مِنْ حاكمه منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان، وليس هناك منكرٌ أشدُّ مِنْ تعطيل الأحكام الشرعيَّة والحدود الربَّانيَّة مِنْ:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح (١١٦٩٦)، (١١/ ٢٦٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٣٦٣).

obeikandl.com

• **حَدُّ القصاص:** الذي يقي الأمَّة شرَّ الثأر.

• **حَدُّ الحِرابة:** الذي يقي الأمَّة أعمال البلطجة والإفساد في الأرض.

• **حَدُّ الزنا:** الذي يقي الأمَّة شرور وآثام العلاقات المحرَّمة والتعدي على الأعراض، والاغتصاب، ويقضي على ظاهرة أطفال الشوارع، وهم نِتَاج العلاقات المحرَّمة، وهم في المستقبل قنابل موقوتة.

• **حَدُّ شرب الخمر:** لحفظ عقول أبناء الأمَّة وأموالهم وصحتهم مِنَ الضياع والهلاك.

• **حَدُّ قذف المحصنات:** لمن تعدَّى على الأنساب، من أجل المحافظة على كرامة الإنسان.

• **حَدُّ الردة للمفارق لدينه والجماعة:** لحماية بيضة الدين مِنَ العبث به، ولوقف هذا المدِّ التنصيري الجارف على بلاد المسلمين وأفرادهم.

• **حَدُّ السرقة:** لحماية أموال الناس من النَّهب والغِشِّ والسرقة والضياع، وللمحافظة على أموال البلاد، وعودة المنهوب منها.. وغير ذلك مِنَ الحدود الشرعيَّة.

❁ ❁ ❁

openkandil.com

الدرس السادس: لا رأفة في الحدود:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢].

وذلك لأنَّ أثر الجريمة التي ارتكبها مَنْ يستحق الحدَّ أفظع وأشدُّ وأكثر نكالًا مِنَ الحدِّ الذي يقام عليه، والجزاءُ مِنْ جنس العمل.

فيُقتَلُ مَن قَتَلَ عمدًا وغدرًا، وسفَكَ الدمَ البريءَ الذي لا يحلُّ له، و**{لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا}**[1]، والذي يقتلُ مؤمنًا متعمِّدًا فجزاؤه:

(١) جهنم. **(٢)** خالدًا فيها أبدًا.

(٣) وغضب الله عليه. **(٤)** وأعدَّ له عذابًا أليمًا.

والذي سرق واعتدى على المال المحروز، إنما سرق جهدَ يدٍ كلَّت وتَعِبَتْ وشَقِيَتْ في السَّعي الحلال، فكان الجزاء مِنْ جنس العمل بقطع اليد...، والذي هتك عرض فتاة بالزِّنا الحرام إنما حكم على أسرة بكاملها؛ بل نكَّس رؤوس عائلة في الأرض، فكان الجزاء من جنس العمل، بالجَلد إن كان بِكرًا، والرَّجم إنْ كان محصَنًا، وفيه ردٌّ اعتبار لهؤلاء جميعًا.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الديات، ح (٦٨٦٢).

فأي عدل أحكم وأرحم وأنفع للناس من حدود الله تبارك وتعالى؟!

وبالله عليكم اذكروا لي بلدًا أو قُطرًا تحقَّق فيه الأمن وقلَّت فيه الجريمة مثل بلاد المسلمين عندما كانت تقيم الحدود؟!

بل قارِنْ اليوم بين بلد كانت تُقيم الحدود قبل ثلاثين عامًا، كما كانت تقام الحدود في بلاد الحجاز، وانظر إلى حالها اليوم بعد تهاونها وتكاسلها في إقامة الحدود، ونسبة الجرائم فيها؟!

❁ ❁ ❁

الدرس السابع: تعريف الحد: الحدُّ هو الفاصل بين شيئين، ويطلق على كلِّ مأمور به من الله ﷻ، وكلِّ منهيٌّ عنه، فالأوامر مِنَ الله تعالى فاصلة بين عباد الرحمن وإخوان الشياطين، والنواهي كذلك فاصلة بين من يحفظ مقام الله تعالى ومَنْ يُضيِّعه.

وفي سياق هذا المعنى تتحقق التقوى، والتي هي: فعل ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى الله تعالى عنه، ولا يتحقق هذا المقام إلا بحياء من الله تعالى، وخوف منه بدوام مراقبة العبد لربه، وعبادته له كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

• ولقد أمرنا الله تعالى بعدم الاقتراب منها. فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧]، وأمرنا تارة أخرى بعدم تعدِّيها. فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وأرى - والله تعالى أعلم - أنَّ:

• **(لا تقربوها)** في المحرَّمات، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢]، ولم يقل: (لا تَزنوا)، لأنَّ للزِّنا مقدِّمات من: النظر، والكلام، والملامسة، والخلوة والخضوع بالقول، وغير ذلك مما قد يثير الشهوة، كالصور، والأفلام الهابطة والأغاني، وما إلى ذلك.

• **و(لا تعتدوها)** في الأحكام، كأحكام الميراث، والزواج والطلاق والرجعة، وما شابه ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

ويا ليت أمَّةَ الإسلام اليوم تحترم حدود الله في العلاقات الاجتماعيَّة، والأسريَّة: فلا يتزوج الرجل إلَّا وفق أحكام الشرع، ولا يُطلِّق إلَّا في استقبال عِدَّة طُهر، (أي لا يُطلق في طهر جامع فيه زوجته)، ولا يطلق أثناء الحيض والنِّفاس، ولا يطلِّق وقت الغضب، ولا يُطلِّق إلَّا في أمر عظيم، لأن الأصل في الطلاق الحظر، وليس الإباحة.

وما أكثر العبث في تعدِّي حدود الله تعالى في تقسيم المواريث، فتجد من الجهل والجهالة أن يحرم الأخ أخته من الميراث، حتى لا يقع في سلطة زوجها، ومن الجهل أن يكتب الرجل ميراثه في حياته، لكي يحرم أفرعًا أخرى من أن ترثه بعد وفاته. ومن ذلك أيضًا أن يوصِي بأكثر من ثلث ماله في أعمال البرِّ والصدقات بعد وفاته، وكل ذلك وغيره تَعَدٍّ لحدود الله ﷻ.

• قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة].

فالله تعالى يبيِّن حدوده لأهل العلم، وليس لأهل الجهل، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة].

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١].

فإن أردت ألَّا تكون مِنَ الظالمين، أو ممَّن لا يظلم نفسه: فحافظ على حدود الله، فلا تقترب منها، أو تتعداها.

❁ ❁ ❁

الدرس الثامن: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ }**: تأمَّل هذا اللفظ: **{ القَائِمِ }** فهو:

• يدل على أنَّ المسلم لا بُدَّ أن يكون يقظان سهران على حدود الله، صاحب همَّة وقوَّة. فالقائم لا ينام ولا ينكسر ولا يغفل، وفي حالة مراقبة دائمة.

• ويدل على أنَّ الحق لا بُدَّ له من قوة تحميه، وأعيُنٍ تسهر على إقامته، فلا يُعذِّب اللهُ تعالى عينًا باتت تحرس في سبيل الله.

• ويدل على الاستمرار والثبات، فلا يكِلُّ المسلمُ ولا يَمَلُّ من المطالبة بشرع الله تعالى، وإقامة حدوده، وتحريم ما حرَّم، وردِّ الشبهات التي تثار حولها. ولا يهدأ له بال، ولا يستقر له مقام، ولا يُغمض له جفن حتى يتحقق له جهاده وكفاحه مِنْ أجل إقامة هذا الدين.

❁❁❁

• فلا يمكن أن تكون صورة الإسلام صحيحة في بلاد المسلمين، يسود فيها العدل، والأمن، والرخاء إلَّا إذا سعى المسلمون لإقامة دينهم، ورفضوا التحاكم إلى غيره، وتبرَّأوا مِنْ كل قاضٍ لا يحكم بما أنزل الله، أو يستبدل بحكم الله حكم غيره، وهو الذي أقرَّ وشَهِدَ

بقول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقوله تعالى لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

فإيمان الأمَّة والأفراد مرهون بمدى احترامها وتقديسها لحكم الله تعالى، وإقامة حدوده.

ولا نهضة للأمَّة، ولا سبيل لرُقيِّها واستقرارها إلَّا إذا بدأت بهذه الخطوة، والتي تنطلق مِنْ خلالها لمحاربة الفساد والقضاء عليه، وإتقان العمل وإحسانه، وحسن استغلال مواردها وثرواتها.

❁ ❁ ❁

الدرس التاسع: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { كَمَثَلِ قَوْمٍ }: فيه إشارة إلى وحدة الأمة، وأنها كالْجَسَدِ الواحد إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى، وأنَّ هذه الأمَّة كما وصفها الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

وأنَّ التفرُّق والتنازع هو أول أسباب فشلها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا

﴿فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٥].

• {كَمَثَلِ قَوْمٍ} والقوم هم: الأفراد المتآلفون المتعاونون في الأفكار والأهداف والأعمال؛ {فِي سَفِينَةٍ} أي تعبِّر عن وجهتهم الواحدة. ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

إنها منظومة متآلفة، أصَّل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قواعدها بقوله: **{ لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا }** وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ **{ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ }**(١).

والقومُ مِنَ الناس: هم الذين يجمعهم نسب واحد وموطن واحد. وأمَّة الإسلام نسبٌ واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا }**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الظلم، ح (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: المظالم والغصب، ب: نصر المظلوم، ح (٢٤٤٦)، ومسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح (٢٥٨٥).

وفي هذا الحديث بيان لهذا النسب؛ لذلك فهو: لا يظلمه ولا يُسلِمُه، وهو دائمًا في حاجته، يفرِّج كربته، ويقضي حاجته، ويَذُبُّ عن عرضِهِ. قَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْيَدَيْنِ، تَقِي إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** »(١).

• ولقد حذَّر الله تعالى هذه الأمَّة مِنَ الفُرقة والتنازع والحزبيَّة والتشيع، والله ورسوله مِنْ كل مِنْ حزب وتشيُّعٍ براء. قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولقد بيَّن الله تعالى لنا أنَّ الأعداء يعملون كفريق واحد لمواجهة أمَّة الإسلام. قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾**﴾ [آل عمران]. ومواجهة هذا الفريق لا تكون إلَّا بهذه الخطوات التي ذكرها الله تعالى بعدها، وهي:

١- إحياء فهم كتاب الله تعالى وتلاوته قراءة وعملًا وسلوكًا.

٢- إحياء سُنَّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستفادة مِنْ تعاليمه وأقواله.

٣- تقوى الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (٧٢٨٨).

﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

٤- الاعتصام بالله ﷻ وبحبله المتين، والتوحُّد على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٥- عدم التفرُّق ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فعندما تتفرَّق الأمَّة إلى أحزاب وجماعات وطرق، فإنهم يخرجون بذلك عن الخط الأساسي للوحدة بالاعتصام حول الإسلام، ومن ثمَّ انتشرت المذاهب والأفكار والمناهج البشريَّة، وانظر في خلال سنتين مِنْ انطلاقة (٢١ صفر- ٢٥ يناير) والمسمَّاه (ثورة ٢٥ يناير) **كم حزبًا أنشيء ؟ وكم رابطة أنشئت ؟** إن العدد مرعب ومخيف.

فهل هذه ظاهرة صحيَّة تؤدي إلى وحدة الأمَّة وقوتها ونهضتها ؟! أم سوف تؤدي إلى الانهيار والحروب الطائفيَّة والانقسامات والصراعات بين أبناء الأمَّة الواحدة والبلد الواحد ؟!

❁ ❁ ❁

الدرس العاشر: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **(اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ)**:

وفي هذه الجملة عدة فوائد هامة:

• **منها**: جواز القُرْعَة عند التسابق في الخيرات، وفي توزيع الواجبات، وهي عمل مشروع في الإسلام، ومن ذلك: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا }**[1].

• **ومنها**: الرضا بما قسمه الله لك بعد القرعة، فهي مِنْ قدر الله تعالى وعدله وحكمته. وقدر الله تعالى يجري على العباد، فمن رضي فله الرضى، ومَنْ سخِط فعَلَيه السُّخط.

• **ومنها**: أنَّ الله تعالى فضَّل بعضَنا على بعض، وفضَّل الرُّسُل بعضَهم على بعض، وفضَّل الناس ورفع بعضَهم درجات ليتخذ بعضُهم بعضًا سُخريًّا، ولو تساوَى الناس في الدرجات لوقفت عجلة الحياة، فيستحيل أنْ يكون الناس كلهم قادة أو أغنياء أو أطباء، أو مهندسين أو عُمَّالًا، لكنها سُنَّة الله تعالى في تنوُّع الدرجات بين

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأذان، ب: الاستهام في الأذان، ح (٦١٥)، ومسلم: ك: الصلاة، ب: تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول، ح (٤٣٧).

البشر ليحدث التعاون والتكافل بين الناس.

• **ومنها:** أنَّ المسلم يعمل في كل مكان ومركز يوضع فيه، ويستطيع أنْ يبدع ويخلص في عمله ويرتقي به، ويتقدم أكثر وأعلى ممن نال درجة ومكانة أعلى منه، فليس هناك مجال للإحباط أو اليأس عندما توضع في درجة كنت ترغب في درجة أعلى منها.

• **ومنها:** القناعة التي تولد السعادة، **فالقناعة كنزٌ لا يفنَى،** والقناعة تجنِّب المسلم كثيرًا مِنَ الحسرات وضيق الصدر والسخط الذي يتولَّد عند فقدانها، ومِنَ القناعة الالتزام بنصيحة النَّبيِّ الأمين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللهِ عِنْدَكَ }**(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ }**(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجها الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٦٥١)، (٢/ ١٥٧)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن حبان في صحيحه، ح (٣٦١).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: في الكفِّ والقناعة، ح (١٠٥٤).

الدرس الحادي عشر: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَى سَفِينَةٍ):

• وهذا يدل على أنَّ هناك سفينة للنجاة لِحِقَ بها مَنْ فاز واتبع رضوان الله مِنْ أمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك مَن لم يلحق بها مِن المنافقين والكُسالَى والقاعدين.

• كما يدلُّ على أنَّ السفينة لها وجهة واحدة. كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

• والجميع فيها على قلب واحد، تحت قيادة واحدة رشيدة حكيمة ذات خبرة بقيادة السفينة إلى بَرِّ الأمان.

• والجميع لهم هُويَّة متقاربة بصبغة واحدة، هي صبغة الله عَزَّ وَجَلَّ. قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

• ولا بُدَّ للسفينة أحيانًا أن تلاقي عقبات وأمواجًا وتغييرات، فلابُدَّ للأمة أنْ تعمل حساب ذلك جيدًا، وعقيدتها في ذلك: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة].

فالأمَّة المتعاونة على البرِّ والتقوى لا تهلك ولا تغرق أبدًا.

وفي هذا إشارة إلى مقاومة الذين يتعاونون على الإثم والعدوان، وأنهم ليس لهم مكان في سفينة النجاة.

❁ ❁ ❁

الدرس الثاني عشر: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾: سفينة النجاة لأمَّة النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تشبه إلى حَدٍّ كبير سفينة النجاة لسيدنا نوح عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فقد جمع فيها الموحِّدين المؤمنين الصالحين، وتخلَّف عنها الكافرون به، وكان ممن تخلَّف ابنُه، فناداه، فتعامل الولد معه بعقليَّة جيل اليوم الذين يخاطبون الآباء بكلِّ وقاحة وسوء أدب عندما يقدِّمون لهم النصيحة والخبرة بوازع الخوف عليهم، فيقولون لهم: أنتم مِنْ جيل ونحن جيل، وزمانكم غير زماننا.

- فهل القِيَم والأخلاق والصلاح والتقوى والأدب يتغيران بمرور الأيام؟!

- هل يمكن أن يصير الكذب مباحًا من جيل إلى جيل؟

- وهل ضياع الوقت في اللهو والعبث والسهر مع رفقة السوء يكون ممدوحًا يومًا؟

- وهل الاختلاط وصحبة الولد لفتاة بعيدًا عن رقابة

الشرع والآباء والقانون مما قد يؤدِّي إلى علاقات محرَّمة وزنًا مشبوه تحت أيِّ مسمًّى يدعونه (زواج عرفي، زواج فرند، زواج باليوم، زواج أمريكاني..) **يكون يومًا فضيلة وعفَّة ؟!**

• هل يكون شرب الدخان والمخدِّرات رجولة وحلالًا بتغير الأجيال؟! هل حصول المال بالفَهْلَوة والغِشِّ يكون عملًا متقبَّلًا من جيل بعد جيل؟!

• هؤلاء يمثِّلون اليوم عقليَّة ابن نوح عندما قال لأبيه معتمدًا على قوته في صعود الجبل، ونشوة الشباب، والنظرة السطحيَّة الظنيَّة بأن الجبل سوف يعصِمُه مِنَ الماء: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]. فقال له الأب الحكيم، والمربِّي الكبير، والرسول الأمين، والوالد الحنون: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ﴾ [هود:٤٣]، ورحمة الله هنا هي لِمَنْ أطاعوه والتزموا أمره وتعاليم رسله، وركبوا السفينة مع نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ثم حال بينهما الموج فكان مِنَ المغرقين، فيتألم نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لغرق ولده وهلاكه مع الكافرين، فيلجأ إلى ربِّه يطلب منه الصلح والعفو متعلِّلًا بالرحم التي يُحبها الله تعالى، لكن سُنَّة الله لا تتبدَّل، والجزاء

مِنْ جنس العمل، فلقد قطع ابن نوح هذا الرحم وعقَّ والده، وكفر برسالته، واستهزأ مع من استهزءوا به من قرناء السوء وهو يعمل في السفينة، فقال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود]، فعاتبه ربُّه جلَّ في علاه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

• وتتكرَّر قصة سفينة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذا الزمان، ويرفض كثير مِنَ الأبناء منهج الإسلام وشعائره وشرائعه، ويلهثون وراء كل ناعق، ويجادلون بالباطل، ويتخلَّفون عن سفينة الإسلام إلى غيرها حتى تقطع أمواج الحياة صلتهم بسفينة الإسلام، وتتحقَّق معهم سُنَّة الله تعالى، إمَّا بهدايتهم أو هلاكهم.

❁ ❁ ❁

الدرس الثالث عشر: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **{ فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ} :**

كل مَنْ في السفينة يعرف الواجبات والحقوق، ويعلمون أنَّ الناس شركاء في ثلاثة: (الماء والكلأ والنار)، وأنَّ الله تعالى حذَّرهم مِنْ منع

الماعون، وأن إطعام الطعام وسَقْيَ الماء من المستحبَّات والمَكْرُمات في شرعنا الحنيف، فلم يضجروا مِنْ صعود إخوانهم لطلب الماء، مع أن ذلك قد يقلق بعضًا مِنْ راحتهم، وقد يسبِّب لهم بعض الإزعاج.

• إنها حركة التعاون والتآلف في الأمَّة المسلمة، وهي في سفينة النجاة، شعارهم: قضاء حوائج الناس، ومبدأ التكافل والترابط والتكامل، يعلمون أن الإيمان حركة اجتماعيَّة قبل أن يكون قلبيَّة، يعلمون أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ }**[1].

كما أن المسلم يتألم لألم أخيه، ويسعَد بسعادته، فهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعَى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى، وإن الأمة المسلمة تعلم جيدًا أن مصلحة الأمة مقدَّمة على مصلحة الفرد عند التعارض، وشعور المسلم بأنه قد يسبِّب له أذى يدل على صحة الإيمان، وحقيقة الأخوَّة، وعظمة الرابطة الإيمانيَّة بينهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (٧٥١)، صحيح الجامع للألباني (٥٥٠٥)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدرس الرابع عشر: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا }:**

انظر إلى هذه الأخلاق: من الحرص على عدم إيذاء إخوانهم، والشعور بالحرج مِنْ إيذائهم عند المرور عليهم لسَقْيِ الماء.

لقد ربَّى النبيُّ الصادقُ المصدوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على الحياء وعدم سؤال الناس، واحترام مشاعرهم وحقوقهم وممتلكاتهم، فالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، والمؤمنُ مَنْ يأمنُ الناسُ بوائِقَهُ وشرَّه، ومَنْ آذى مؤمنًا فقد آذى النبيَّ، ومَنْ آذى النبيَّ فقد آذى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

• وقال تعالى في حادثة إيذاء أمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (حادثة الإفك): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾. [النور: ١١].

• هي مشاعر داخل السفينة مليئة بالحبِّ والرحمة والشفقة والتعاون،

واحترام راحة الآخرين، وعدم إزعاجهم.

وانظر اليوم وتأمَّل حال مَنْ هم خارج هذه السفينة، كيف يستعملون مكبِّرات الصوت في الشوارع، في الأفراح والمآتم حتى ساعات متأخِّرة مِنَ الليل، دون مراعاة لجيران، أو كبار سنٍّ، أو مرضى، أو أهل موتى، فضلًا عن حرمة ذلك! وانظر كيف يُسمَع صراخ الأغاني في المواصلات العامة بلا أدنى حياء أو خجل.

إنه تلوث سمعيٌّ يُصيب بالصَّمَمِ بعد شهور قلائل.

• وتأمَّل حياء مَنْ في أسفل السفينة، وشعورهم بالحرج لمجرد مرورهم لأخذ الماء مِنْ أعلاها، وتأمل لو استمر تذمُّر من فوقهم من ذلك، واضطروهم إلى خرق السفينة في نصيبهم.

• إنها مدرسة النُّبوة التي تؤسِّس مكارم الأخلاق، وتعلي كيان الإنسان، وترتقي بالبشريَّة نحو الكمال.

وفي رواية أخرى يتضح لنا معنى آخر، وهو قول من كانوا أعلاها: **{ لَا نَدَعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤْذُونَنَا }**[1]. وهذا يدل على التسرع في القول، والعجلة في اتخاذ القرار، وعدم التفكير في النتائج المتوقعة،

---

(١) أخرجها أحمد، ح (١٨٣٦١)، والترمذي: أبواب الفتن، ح (٢١٧٣)، وقال: حسن صحيح.

وضيق أفق مَن يفكِّر في يومه، ولا يفكِّر في نتائج قراره غدًا.

● فهذا القول يدل على الحماقة التي ليس لها دواء إلا هلاك صاحبها بحماقته. فلو فكر هؤلاء قليلًا فيما قالوا، وسألوا أنفسهم: من أين يقضي إخواننا حاجتهم من الماء، وكيف يحصلون عليه؟ لاهتدوا إلى الصواب، والرأي الراجح.

● إن الأنانيَّة صفة مذمومة في الإسلام، والتفكير في مصالح الناس ومنافعهم لا يقل شأنًا في التفكير في مصلحتك ومنفعتك، فالتعاون إنجاز وهمة، وثمرته عظيمة تعود بالنفع على الجميع.

أما الأنانيَّة والعمل بعيدًا عن الآخرين لا يجلب إلا الفساد والفرقة والتباغض. فأين هم من قاعدة الإسلام العظمى « **أَحِبَّ لأخيكَ ما تُحِبُّ لِنَفسِكَ مِنَ الخَيرِ** » ؟!

❁ ❁ ❁

الدرس الخامس عشر: احترام ملكيَّة الآخرين، واحترام مشاعرهم.

وانظر إلى اجتهادهم في فقه المصالح والمفاسد، فهم يرون أنَّ المفسدة في الخرق في نصيبهم أقل ضررًا مِنْ صعودهم وإيذائهم لمن هم فوقهم.

• وهذا يذكِّرُنا بحُرمة البيوت في الإسلام، وحرمة الاعتداء، أو التجسُّس عليها، أو الدخول إليها بغير استئذان، أو حتى الطَّرْق على الباب أكثر من ثلاث طرقات متفرقات خلافًا للسُّنَّة، قبل الانصراف.

وكذلك أحكام الاستئذان داخل البيوت في أوقات العورات (قبل الفجر، وعند الظهيرة، وبعد العشاء).

• انظر إلى آداب الإسلام داخل سفينة النجاة، وانظر لآداب مَنْ هم في خارجها، كيف كان زوَّارُ الفجر يقتحمون البيوت، ويبثُّون الرعب في الكبير والصغير، ويتطلَّعون على العورات، وينتهكون حُرمة البيوت، وتمتد أيديهم إلى ممتلكات غيرهم كأنهم عبيد عندهم.

إنها السلوكيات التي يتميز بها كل فريق، وعلى أساسها ينادَى:

﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى]. فريق في الجنة تحفُّه رحمة الله تعالى، وفريق في النار (إذا لم تلحقهم عناية الله وهدايته ورحمته)، وهم خارج سفينة النجاة، لكل منهم أخلاقه وقيمه ومبادئه، بل وعقيدته وعبادته ومعاملته.

❁ ❁ ❁

الدرس السادس عشر: الفساد في الأرض لا يمكن تعليله:

• خرق السفينة فساد وإفساد، وخطر على الجميع لا يمكن تعليله بالنيَّة الصالحة في عدم إيذاء مَنْ هم فوق، فالنيَّة الصالحة الطيبة لا تبرِّر العمل الفاسد، ولا تبدِّل المعاصي.

نعم قد تنقلب الطاعات والمباحات إلى معاصي بالنيَّة إذا صُرِفَت لغير الله تعالى، لكن المعصية لا تكون طاعة بالنيَّة أبدًا.

فخرق السفينة عملٌ إجرامي، يهدِّد أمن المجتمع، ويصبح الجميع في خطر، ولا يمكن تبريره بالنوايا الحسنة.

• وهذا منهج الإسلام العظيم في الرد على المخالفين الذين يقولون: بأن الغاية تبرر الوسيلة، فما دامت الغاية نبيلة ومحمودة، فلا يهم بأي وسيلة تصل إليها، سواء مشروعة أو غير مشروعة، حميدة، أو غير حميدة، وهذا خلق الليبراليِّين[1]، وهذه أخلاق مَنْ هم خارج السفينة.

أما الإسلام فيشترط في العمل أنْ تكون الغاية مشروعة، والوسيلة إليها مشروعة أيضًا، لأنَّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا، ولأنَّ الغاية هي الجنة، والوسيلة هي الطريق الموصل إليها، وأصحاب

---

(١) راجع كتاب: الديمقراطيَّة في ميزان الشرع للمؤلف.

السفينة يعلمون ذلك جيدًا، فلا يمكن أن تكون الغاية هي عدم إيذاء مَنْ هم فوقهم، والوسيلة هي خرق السفينة والإفساد في الأرض.

• لذلك يمنع الإسلام كل أسباب الحرام، واللهو الباطل، ويقطع جميع السبل إليها، ولا توجد عِلَّة في الشرع تبيح للمسلم فعل المحرم إلَّا في حالة الاضطرار الشرعي، عندما يتعرض الإنسان للهلاك (الموت) أو فقد عضو مِنْ أعضائه وقتها يكون مضطرًّا.

❁ ❁ ❁

الدرس السابع عشر: مع موسى والخضر:

في سفينة موسى والخضر، لما خرق الخضر السفينة، بعد المعروف المقدَّم من أصحابها إليهم بركوبهم معهم، قام الخضر، وأتلف جزءًا منها، واعترض موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ذلك، لأنه رسول من أولي العزم، اعترض على ما ظاهره الفساد. فقال له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾. فقال له الخضِرُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾. ثم بيَّن له العِلَّةَ فيما بعد قائلًا له: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف].

فالأمر هنا مختلف تمامًا: لأن هذه السفينة كانت مصدر رزق هؤلاء المساكين، والملك الغاصب يستولي على كل سفينة سليمة ظلمًا وعدوانًا، وهي مصدر دخلهم ورزقهم، وعليها يعملون في نقل الركاب والبضائع للناس.

والعَيْبُ الذي فعله الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإتلاف جزء فيها لا يعوق مسيرتها، ولا يعطِّل حركتها، ولا يقلِّل مِنْ حمولتها وسيرها، لكنه بفضل الله تعالى يحفظها لهم مِنْ سلب الملك الغاصب الظالم، فيمرُّون مِنْ أمامه بسلام، فاختار الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أخفَّ الضَّرَرَيْنِ.

ثم إنه قد كان بالسفينة رسولٌ مِنْ أولي العَزْمِ وهو موسى، والخضر، وكذا فتى موسى (يوشع بن نون) عليهم السلام، فلقد صار نبيًّا فيما بعد، وهذا العمل قد تم من خلال وحي الله تعالى، والوحي لا يكون إلَّا في صالح الناس ومنافعهم.

❁ ❁ ❁

الدرس الثامن عشر: سفينة ذي النون (يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ):

ذهب يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مغاضبًا من قومه، حين كذَّبوه وعاندوه، ولم يؤمن منهم أحد، فأصابه اليأس منهم، فخرج مغاضبًا لهم، ولم يعلم

الغيب الذي ادَّخره الله تعالى لهم، فلما شعر قومه بالحرمان مِنْ نبيهم آمنوا جميعًا، ولكن بعد أنْ ذهب يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحملته السفينة، وهاجت الأمواج، وكان لا بُدَّ مِنْ تخفيف الحمل بإلقاء واحد منهم في البحر، وخرجت القرعة على يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فالتقطه الحوت، ولولا أنه كان مِنَ المسبحين، حيث أُلهِمَ أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فنبذه الحوت بالشاطئ وهو سقيم، وأرسله الله تعالى بعد هذه الآية والمعجزة إلى قومه الذين آمنوا وأسلموا.

فكان إلقاء يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نوع مِنَ التضحية من أجل سلامة الباقين، وأراد الله تعالى بها معجزة لنبيِّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ودرسًا مفيدًا.

❁ ❁ ❁

• دروس وعِبَر في سفينة الخضر وموسى، وفي سفينة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ وفي سفينة الإسلام لِنتعلَّم العبرة، ولِنفهم أنَّ خرق السفينة مِنَ الذين في أسفلها ليس كخرق الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فالفساد لا يجوز تعليله، والبلطجة والتعدي على الآمنين يستحيل أنْ تكون عملًا مقبولًا تحت أيِّ مسمًّى، ولو قالوا عن أنفسهم إنهم ثوَّار، أو حماة للأمن والديار.

❁ ❁ ❁

الدرس التاسع عشر: حدود الحريّة فيما نملك:

فالذين في أسفلها قالوا: (لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنا) أي في ممتلكاتهم، وهذا يؤدِّي بنا إلى أن نتساءل:

ما هي حدود الحريَّة الشخصيَّة فيما نملكه ؟!

هل نحن أحرار في أن نفعل في أموالنا ما نشاء، كما قال أصحاب شعيب له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **؟**

ألم يحرِّم علينا الإسلام أن نؤتي السفهاء أموالنا ؟!

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

كما شُرِعَ الحَجْرُ على السَّفيه في ماله، وهو: مَن لا يُحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد.

• نعم لستَ حرًّا فيما تملك، ولقد قيد الله تعالى هذه الحريَّة بفرائض وحدود وواجبات. والحريَّة الحقيقيَّة لا تكون إلَّا إذا كنت عبدًا لله تعالى، فأنت إما عبدٌ للرحمن جلَّ وعَلَا، وإما عبدٌ لهواك أو لشهواتك، أو للقانون أو النظام أو العُرف، أو ما شابه ذلك، ولكي تكون لك حريَّة الاختيار كما أراد الله تعالى فلا بد لك من توفر الشروط التالية:

(١) العقل: فلا حريَّة لصغير أو مجنون أو نائم أو سكران.

(٢) التكاليف: فلا حريَّة لغير مكلَّف. فالأمير والسلطان والقائد ومدير الشركة والوالد، كلهم أحرار لأن وراءَهم مسئوليات، إمَّا أن يحافظوا عليها أو يضيعوها.

(٣) المحاسبة لكل مكلَّف على ما كلِّف به، حفظ أم ضيَّع.

(٤) لا حريَّة في ظل مجتمع تحكمه قوانين وأعراف وتقاليد وعادات تَحُدُّ من الحريَّة الشخصيَّة.

(٥) لا حريَّة إلَّا لأهل الجنة في الآخرة، لأن لهم فيها ما يشتهون، ولهم فيها ما يشاءون، وهذه هي الحريَّة بمعناها الحقيقي والأصيل.

❁ ❁ ❁

obeikandi.com

الدرس العشرون: الحريّة الشخصيّة، ومصالح الآخرين:

هل الذين في أسفل السفينة أحرار في نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون، دون مراعاة مصالح الآخرين، أو اكتراث بما يقع عليهم من ضرر؟

وهذا يؤدي بنا إلى الحديث عن المصلحة الخاصة والمصلحة العامة:

فإذا تعارضت المصلحتان، أيهما نقدِّم: مصلحة الفرد أم مصلحة الجماعة ؟!

لا شكَّ أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة عند التعارض.

فقد تعارضت مصلحة الذين في أسفل السفينة، وهي (سقي الماء بخرقها) مع المصلحة العامة وهي (سلامة السفينة ونجاة جميع الأفراد). فأي عاقل يستطيع أنْ يقدِّم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة؟!

وهذا يعلِّمُنا أنَّ في أوقات الثورات والنكبات والحروب والشدائد لا بُدَّ من تقديم مصلحة الأمَّة على المصالح الخاصة، ولا بُدَّ مِنْ أنْ يتنازل البعض عن بعض حقوقهم أو الصبر عليها لحين زوال الأزمة وحلول الفرج، ولا بدَّ أن يتخلق الناس بخلق الإيثار والكرم.

❁ ❁ ❁

obeikandi.com

الدرس الحادي والعشرون: القلة والكثرة:

وهذه الوقفة مِنَ الأمور التي حدث فيها انتكاس لدى كثير مِنَ الناس، وخاصة عندما افتُتِنَ العرب بالديمقراطيَّة، وحُكِّمَ رأي الأغلبيَّة، مع أنَّ المنهج الإسلامي لا يدور مع الكثرة أو القلة، إنما يدور مع الحق حيث كان، ويعتمد على التزكية لأهل الخبرة والصلاح الذين لديهم القدرة على الإصلاح.

• فقد تكون الأغلبيَّة مذمومة، والأقليَّة محمودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]. وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

• وقد تكون القلَّة مذمومة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦]، وإفساد هذه القلة وسكوت الكثرة عنها (كما سيأتي) قد يكون سببًا في هلاك الجميع. وغالبًا ما تكون القلة المذمومة في أهل الترف وأصحاب الرئاسة، والذين يَسْعَون إليها.

• إذن. فمنظومة الإسلام لا تدور مع الأغلبيَّة الغالبة، أو الأقليَّة المنحرفة، إنما تدور مع الحق والصواب والصحيح.

قالَ **عبدُ اللّهِ بنُ مسعودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعةُ ما وافق الحقَّ وإنْ كنتَ وحدَك»(١).

وقَالَ بعضُ السلفِ: « عليكَ بطريق الحقِّ. ولا تَسْتَوحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِين، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ البَاطِلَ. وَلا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ».

وقال الفضيلُ بنُ عِياض رَحِمَهُ اللَّهُ: « اتَّبِعْ طُرُقَ الهُدى ولا يَضُرَّكَ قِلَّةُ السَّالكين، وإيَّاك وطُرُقَ الضَّلالَةِ ولا تَغْتَرَّ بكَثرةِ الهالكين »(٢).

ألا تتأمَّل عدد الذين آمنوا مع نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ونجَوْا معه في سفينة النجاة، وكذلك مع صالح وشُعيب وهود، ومع موسى وعيسى ومحمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

ويوم القيامة يأتي النَّبي ومعه الرهط، والنَّبي ومعه الرجلان، والنَّبي ومعه الرجل، والنَّبي وليس معه أحد.

• والنار تنادي: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]، وقد تكفَّل الله تعالى

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٧٠).
(٢) الأذكار، للإمام النووي، ص (٢٨٦).

بملئها: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة].

• والجنة يسكنها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الواقعة]، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: (يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ) ... }الحديث** (١).

وفي رواية: **{ قَالَ: تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ }** (٢).

والمقصد: أنْ يتعلَّم الساعي إلى الحقِّ، أن الكثرة أو القلة ليست سمة مِنْ سماته، ولا علامة مِنْ علاماته، إنما يعرف الحق بهيئته ومنهجه وأتباعه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: قصة يأجوج ومأجوج، ح (٣٣٤٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: قوله: «يقول الله لآدم ....»، ح (٢٢٢).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب تفسير القرآن ، ح (٣١٦٨)، وقال: حسن صحيح.

الدرس الثاني والعشرون: سنة الهلاك:

في هذا الحديث الجليل يتبين لنا أن الأمَّة تتعرَّض للخطر، أو الغرق بإحدى ثلاث:

الأولى: التهاون في القيام على حدود الله تعالى.

الثاني: إذا أفسدت القلة، ولم تأخذ الكثرة على يديها.

الثالث: إذا كثر الخبث وساد، ورضيت به الكثرة، وتوقفت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف].

• وتأمَّل حادث الرماة على جبل أُحُد، فقد عاقب الله تعالى الجميع بمخالفة بعض هؤلاء الرُّماة، ونزولهم من الجبل لجمع الغنائم.

• وتأمَّل كيف أخذ الله تعالى آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات، وأرسل عليهم الجراد والقمل والضفادع والدم وغيرها، آيات بسبب عدم اعتراضهم على فرعون، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

obeikandl.com

• وتأمَّل قول الله ﷻ عندما يُبيِّن لنا أسباب لعنته على بني إسرائيل ذلك بأنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:٧٩] وذلك أن الرجل منهم كان يمرُّ على الرجل، وهو قائم على معصية الله تعالى فيأمره وينهاه، فإذا أتاه من الغد وجده على نفس المعصية فيؤاكله ويجالسه ويمازحه. من أجل ذلك لعن الذين كفروا من بني إسرائيل.

❁ ❁ ❁

الدرس الثالث والعشرون: السفينة وأطواق النجاة:

إذا ركبتَ يومًا ما البحر في سفر لمدة ساعات أو يوم أو يومين أو أكثر سوف تشعر بالقلق، أو عدم الاطمئنان، أو الخوف الداخلي، حتى ترسو السفينة على الشاطئ وتخرج منها بسلام.

ويأتي هذا الشعور خوفًا مِنَ الأمواج وتلاطمها، أو حدوث عطل بالسفينة وتأخرها، أو اعتراض عارض لسيرها.. المهم أنه لا اطمئنان وأمان إلا بعد الوصول إلى الشاطئ بسلام.

والذين في سفينة النجاة لا يأمنون مكر الله تعالى يومًا، وهم يُتلى عليهم قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا

﴿مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

والأمن مِنْ مكر الله تعالى مِنْ أكبر الكبائر، كما أنَّ اليأس مِنْ رحمة الله تعالى مِنْ أكبر الكبائر.

فالمؤمن الناجي وسط حيث إنه يرجو رحمة ربه، ويخشى عذابه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزمر:٩].

• والذي يأمن مكر الله تعالى يتجرَّأ عليه، ويصاب بظاهرة الإرجاء.

والذي يتوازن بين الأمرين هو الذي يعبد الله تعالى على حق، ويتقرب إليه بصدق.

• وكل شيء في الدنيا تخاف منه تهرب منه، إلَّا الله تعالى فإنك إذا خِفْتَه هربتَ إليه سبحانه، فأنت تعبده وتدعوه (خوفًا وطمعًا)، (رغبة ورهبة)، مع المحبة والتعظيم.

• ووجود هؤلاء في سفينة النجاة يجعلهم على وَجَلٍ من الله تعالى، هذا الوجلُ يدفعهم إلى الاستقامة والعبادة، وأداء الحقوق وعمل الواجبات بهمَّةٍ وإتقان، والنصيحة والإقبال على العلم، ومعرفة فضل العلماء، والنظر في عواقب الأمور.

• فأهل العلم والصلاح يعرفون الفتن قبل وقوعها، ويعرفونها إذا وقعت، وأهل الجهل والجهالة لا يعرفونها إلَّا إذا رحلت.

• وتخيَّل معي: لو كنتَ في جنازة، وبعد الانتهاء من الدفن، سألت المتوفَّى: هل تريد أن تعود إلى الدنيا ساعة؟ ولو فرضنا وعاد، ماذا تظن أنه يفعل في هذه الساعة؟

والمقصد من ذلك: هو أني وأنت في مثل هذه الساعة الآن، فماذا نحن فاعلون فيها قبل فوات الأوان؟

❁ ❁ ❁

• ووسائل منع الذين في أسفل السفينة مِنْ خرقها هي: النصيحة، والعلم بعواقب الأمور، الأمر بالمعروف بمعروف، والنهي عن المنكر بدون منكر، والقوة وأَطْرُ الناس على الحق، والثبات عليه، وعدم الخوف مِنْ رد فعل الباطل.

• ومِنْ سُنَّة الله تعالى أنه ما زاد باطل وانتشر إلَّا في غفلة مِنَ الحق وانطواء منه، وأنَّ للحق هيبة في قلوب أهل الباطل، يُلقى الله تعالى في قلوبهم الرعب منه، ويكفي أهله أنَّ الحقَّ معه الحقُّ جلَّ وعلا.

قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وسِرُّ بقاء هذه الأمَّة ودوام خيريَّتِها يكمن في ثلاثة أمور:

١- الإيمان بالله تعالى.

٢- الأمر بالمعروف.

٣- والنهي عن المنكر.

فالصراع بين الحقِّ والباطل قائم ودائم، وله سُنَنٌ، فلا يمكن لسفينة النجاة أن تسير بأمان إلَّا إذا حصَّنها أهل الحق مِنَ الفساد ومِنَ الباطل، ومِنَ الحرام والمعاصي.

❁ ❁ ❁

الدرس الخامس والعشرون: (أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ)

أخذوا عليهم **أولًا**: لمنعهم مِنَ الفساد، **ثانيًا**: لإعادتهم إلى البناء والتعاون.

فليس الهدف من الأخذ على يد الظالم (بأن تمنعه وتحجبه عن الظلم)، وعلى يد المفسِد (بأنْ تمنعه عن الفساد في الأرض)، مجرد إزاحة الظلم والفساد فقط، بل إعادة البناء العقلي والجسدي والنفسي للظالم والمفسِد، ليعود عضوًا صالحًا عاملًا نافعًا بين الناس.

obeikandl.com

ومرحلة البناء هذه قد تكون أصعب وأشقُّ ولكن لا بُدَّ منها، فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها، والإصلاح يبدِّد الفساد، والحسنات تمحو السيئات.

وهذه المهنة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح تتطلب: إخلاصًا لله تعالى، وتواضعًا للخلق، وتغليب الرفق واللين على الشدة والغلظة، واستعمال الحكمة التي تجذب القلوب، والأخذ بأيديهم حتى طريق السلامة والنجاة، والصبر على طول الطريق، وتحمُّل الأذى في سبيل الله تعالى، وكل ذلك يحتاج إلى رجال يحبون البذل والعطاء والإنفاق، والجهاد والعمل لله ﷻ، ولنصرة دينه وعلوِّه.

❁ ❁ ❁

الدرس السادس والعشرون: قوة الإقناع:

الذين في أسفل السفينة يتحدَّثون عن مبرِّرٍ معقول ومقبول لديهم، وهو: عدم إيذاء مَن في أعلاها، فلا بُدَّ لمن فوقهم أن تكون حجتهم قويَّة دامغة، ولا يتأتَّى ذلك إلَّا عن طريق العلم وتحصيله، ومعرفة الحوار وأصوله، ومعرفة المقاصد والمصالح، والمفاسد والمضارِّ.

• ولكل إنسان حكمة ومبرِّرٌ لعمله، **ولكن هل يُقبَل منه هذا المبرِّر؟**

هناك أناس حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب الجبارِ جلَّ وعلا، وآخرون حجتهم معقولة، وأعذارهم مقبولة، ولكي تكون الحجة مقبولة، لا بُدَّ لها أن تكون موافقة للحق، خاضعة للشرع، خالصة لوجه الله تعالى، خالية مِنَ الرِّياء والشرك.

• وإذا أردت أن تتعلم قوة الإقناع وفنَّ الحوار، فما عليك إلَّا دراسة سير الأنبياء والمرسلين في القرآن والسُّنَّة، ومن ذلك:

- حوار إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع النمرود.
- وحوار موسى مع فرعون وقومه.
- وحوار موسى مع الخضر عليهما السلام.
- وحوار شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خطيب الأنبياء مع قومه.
- وحوار نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه.
- وحوار سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ملكة سبأ.
- ثم حوارات قصص القرآن: (قصة الثلاثة التي تخلفوا عن غزوة تبوك، وقصة ذي القرنين، وقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الجنة، وقصة بني آدم، وقصة هدهد سليمان).

obeikandl.com

◘ وكذلك قصص السُّنَّة المباركة: (كقصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وقصة الأعمى والأقرع والأبرص، وقصة الإفك كما ترويها أمُّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).

• ثم حوارات الصحابة: مثل (حوار رستم وربعي بن عامر مع قائد الفرس، وحوار أبي سفيان مع ملك الحبشة، وحوار النجاشي مع قومه عندما عرض عليهم الإسلام، وغير ذلك).

• لذلك فإن أَخْذَ الذين في أعلى السفينة على يد الذين في أسفلها قد يكون: بالحجَّة والبيان الذي يشوبه الرحمة والإحسان، وقد يكون: بالقوة الرادعة لمنع الخطر القادم، ولا ينفع فيه إنكار القلب لأن الإنكار القلبي في هذه الحالة لا جدوى منه، ولا يحجب عنهم الهلاك.

• وقوة الإقناع ليست متوفِّرة في كل أحد، فلا بُدَّ فيها كما قلنا: من العلم والحكمة والتوفيق من الله تعالى، والمعرفة بأحوال مَن تحاوره وتحاول إقناعه، ولها درجات تبدأ بالحسنى ولين الكلام وقوة البيان، وبيان الآثار والأحوال المترتبة على العمل، ثم تنتقل إلى التشبيه والتمثيل والبلاغة والفصاحة، والقصة والمثل، ثم قد تستخدم الشدة في موضعها. مع التنبُّه إلى أن درجة الصوت وطريقة الكلام لهما تأثير

كبير، واختبار الوقت المناسب والمكان المناسب ودراسة الظروف والأحوال المحيطة بالمكان، كل ذلك يلعب دورًا بارزًا في قوة الإقناع.

❁ ❁ ❁

الدرس السابع والعشرون: وجهة الأمة:

ما من سفينة تسير إلَّا ولها وجهة محددة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨].

والوجهة هي التي تحدِّد المسار، ومحطة النزول والركوب، ووقت وزمن الرحلة.

ففي سفينة النجاة وجهة الأمَّة إلى الدار الآخرة، والذين خارجها وجهتهم إلى الدنيا. قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ولكل إرادةٍ سَعْيٌ: فأبناء الدنيا يَسْعَوْنَ إليها: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾. وأبناء الآخرة يَسْعَوْنَ إليها ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ

﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

• ولكل دارٍ أبناءُ، ولهم علامات ودلائل تدل على أنهم من أبناء تلك الدار.

وما عليك إلَّا أن تبحث في كتاب الله وسُنَّة رسوله، وتضع نفسك في الموضع اللائق بك من قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، وتسأل نفسك: من أي قسم أنا؟.

وما الأفكار والأهداف، وأنماط الحياة، والسلوكيات والمعاملات، والأخلاق والعقائد والعبادات لكل منهما؟.

• ومَنْ في سفينة النجاة مِنَ المؤكد أنهم صبغوا بصبغة الله، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة].

وأن هُوِيَّتَهُمْ متميِّزة: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

❁ ❁ ❁

الدرس الثامن والعشرون: القيادة الناجحة:

لكل سفينة ربَّان وقبطان ومنظومة قيادة لتشغيل المجموعة العاملة منهم في قيادة السفينة، وكذا لا بُدَّ لنهضة الأمَّة من: وجهة وغاية وهدف وعقيدة، ثم قيادة حكيمة رشيدة قويَّة أمينة، تقيم العدل،

وتحمي الدين والعرض والوطن، وتحكم بينهم بما أنزل الله.

فلا يمكن أن تتقدم أمَّة دون أن ترى أبناءها على عقيدة قويَّة راسخة ترسِّخ في نفوسهم أنهم الأعلى وأنهم أصحاب السيادة والريادة والمواطنة من الدرجة الأولى.

يتبع هذه العقيدة تربية سليمة صحيحة، وعلم منهجي يقوم على التحليل والاقتصاد والإحصاء، يتبعها عمل جاد دؤوب متواصل. يتخلل ذلك كله مبادئ صحيحة ذات خشوع وخضوع، وأخلاق تتميز بها بين الأمم، هذا كله منوط بدور القيادة الناجحة التي تقود هذه السفينة.

أمَّا من هم خارج سفينة النجاة فقيادتهم الهوى أحيانًا، واللهو والعبث وضياع الوقت والعمر أحيانًا أخرى، بلا هُويَّة ولا رَوِيَّة ولا رؤية واضحة مستقبليَّة، وتحكمهم الديكتاتوريَّة أحيانًا، والفوضى أحيانًا أخرى، وقد يحتلُّهم المحتلُّ الغاصب جزاءًا ووفاقًا لما خرَّبوا دينهم ودنياهم.

❁ ❁ ❁

openkandil.com

الدرس التاسع والعشرون: وسائل الأمن والمتانة والسلامة:

لا يمكن أن تسير سفينة بدون منظومة للأمن والمتانة والسلامة، وسفينة النجاة لهذه الأمَّة تكمن فيها وسائل الأمن والسلامة منها:

١- الإيمان بالله تعالى، فلا أمن بلا إيمان، ولا حياة لمن لم يحيي دينه، والله ﷻ قال: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾** ﴾ [الأنعام].

فالإيمان الخالي من الشرك والظلم هو صمام أمان السلامة والنجاة، ولا يتحقق الأمن بدونه.

٢- إقامة الحدود حتى لا تسول لنفسٍ أمَّارة بالسوء أن تعتدي على الدين أو الأنفس أو الأموال أو الأعراض أو العقول أو الممتلكات.

٣- تحقيق العدل بين الناس وكفالتهم، والعمل على قضاء حوائجهم، وتوفير المسكن الملائم، والطعام الصحي السليم لهم، والدفاع عنهم ضدَّ عدوهم، والسهر على راحتهم، والنهوض بهم، والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى لغيرهم.

❁ ❁ ❁

openkandil.com

الدرس الثلاثون: الصلاح لا يكفي:

الذين كانوا في أسفل السفينة، كان قد غلب عليهم الصلاح، بدليل قولهم: «**لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا**» لماذا؟ **حتى لا نؤذي من من فوقنا**». لكن الصلاح وحده لا يكفي ما لم يتبعه إصلاح.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلَانًا لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، قَالَ: فَقَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ }**[1].

لم يغضب لله تعالى، ومع صلاحه هو لم يسع في إصلاح غيره.

• إذا كنت صالحًا ولا تسعى في إصلاح زوجك وولدك، فإنهم سيكونون عقبة كئودًا أمام دخولك الجنة.

• وإذا كنت صالحًا وأصلحت ولدك وزوجك، فإنهم سيكونون مددًا لك بعد وفاتك، وحجابًا لك من النار يوم القيامة.

• وتأمَّل معي قول الله تعالى على لسان نبيه شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾**﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ح (٧١٨٩)، والطبراني في الأوسط (٧٦٦١)، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٩٠٤)، وأخرجه غيرهم موقوفًا.

[هود]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[1].

• فلا بُدَّ مِنَ الصلاح والإصلاح، لأن الأمَّة المسلمة لا يمكن لها أن تحيا مع الفساد أو الباطل، فالمسلم كالسمك لا يعيش إلَّا في الماء، وكذلك المسلم لا يمكن أن يحيا إلَّا في أرض طيبة، وبيئة صالحة، فإن رأى المنكر ولم يستطع أن يُغيره أو يزيله، فليتغير هو عنه، ويزول بعيدًا عنه. قال الله تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء].

• وفي قصة أصحاب السَّبْتِ الذين حرَّم الله عليهم الصَّيْدَ يوم

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الجمعة، ب: الجمعة في القرى والمدن، ح (٨٩٣)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: فضيلة الإمام العادل، ح (١٨٢٩).

السَّبْتِ، فتحايلوا على أمر الله، واحتالوا لذلك فنصبوا الشباك، وحصدوا ما فيها يوم الأحد، وانقسم الناس في ذلك إلى ثلاث فرق:

الأولى: هي التي قامت بالصيد، وأيَّدها وشاركها مجموعة من الناس. **والثانية**: أمة من الناس سكتوا عنهم، ولم يشاركوهم، ولم يناصحوهم، بل لاموا الفرقة الثالثة التي وعظتهم وتبرَّأت من فعلهم، **والثالثة**: هم الذين أمروهم بالمعروف، ونهوهم عن هذا المنكر، وهجروهم لمخالفتهم أمر ربهم. فلما نزل عذاب الله ﷻ عليهم، أنزله على الطائفة الأولى، وسكت عن الثانية لسكوتها، ولم تحدث النجاة إلا للفرقة الثالثة فقط.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف]. وفي حديث النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ**

قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ }[1] .

❁ ❁ ❁

الدرس الواحد والثلاثون: لا كاشف لها إلا الله:

لو فرضنا أن الناس في أعلى السفينة تكاسلوا وأهملوا في الواجب المنوط بهم، وعمدوا إلى الراحة، وتم خرق السفينة، فإذا أوشكت على الغرق فلا منقذ لها وقتئذ إلَّا الله، ولا كاشف للبلوى إلَّا الله.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس].

• فالذي يحفظها مِنَ الغرق والهلاك هو الله وحده، ومِنْ سُنَن الله تعالى: أنَّ الأمَّة إذا تكاسلت وتقاعست عن الواجب المنوط بها، ثم تابت وأحسنت، وأصلحت وندمت، وأقلعت عن الخطأ والمعاصي،

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٥٥٩٠). عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واستبدلت بالسيئات الحسنات، وفقها الله وحفظها، ووفقها للإصلاح والعطب وسوء الثقب، وعادت لمسيرتها ثانية، لأنَّ الله ﷻ وعدَها ألَّا يعذبها ما دامت عبادة التوبة والاستغفار والإصلاح مستمرة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

❁ ❁ ❁

الدرس الثاني والثلاثون: (فإن تركوهم وما أرادوا):

الإرادة مِنْ معاني النيَّة، فالنيَّة التي محلها القلب من معانيها: (الهاجس، والخاطر، وحديث النفس، والهمّ، والعزيمة، والابتغاء، والإرادة، والباعث على العمل، والحرص).

• عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: **{ إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً }**[1].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: مَن هَمَّ بحسنة أو سيئة، ح (٦٤٩١)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: إذا هَمَّ العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ح (١٣٠).

ويتضح من الحديث: أن النيَّة يقبلها الله تعالى في الخير ويجازي عليها، ولو بدون عمل، وذلك في الهاجس والخاطر وحديث النفس فقط.

فإنْ مرَّ على المسلم هاجس وخاطر وحديث نفس في الشرِّ لم يكتبه الله تعالى عليه سيئة، بل قد يكتبها له حسنة إذا كان سبب تركها الخوف من الله تعالى، كما في رواية أخرى: **{ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّهُ تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي }**[1].

• والنيَّة يقبلها الله تعالى في الشرِّ، وإن لم يعمله، وذلك في الهمِّ والعزيمة والإرادة، والحرص ولكن لا بُدَّ معها مِنْ قرينة تدل على ذلك، مِنْ ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ }**، فقالوا: هذا القاتل فما ذنب المقتول، قال: **{ إِنَّه كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ أَخِيْهِ }**[2]. والقرينة هنا حرصه على قتل

---

(١) شرح السنة للبغوي، ح (٤١٤٨)، والإيمان لابن منده (٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: «وإِنْ طائفتان مِنَ المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما»، ح (٣١)، ومسلم: ك: الفتن، ب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح (٢٨٨٨).

أخيه برفع السيف لقتاله.

ومن ذلك أيضًا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث { **مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ** }، وفيه: { **وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْمًا، وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ** }، **قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ** }[1].

والقرينة هنا قوله { **لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ** }، مع أنه لم يفعل وكان في الوزر والدرجة في النار مع مَنْ فعل.

• ومِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [النور:١٩]. والحب محله القلب، ولما كان الحب هو: الرغبة الشديدة، والتمني والحرص، استحق صاحبه العقاب بمجرد الحب.

• {**فإن تركوهم وما أرادوا**}، ولكن إذا كان الإرادات مِنْ مُسمَّيات النيَّة ومحلُّها القلب، **فكيف عرفوا بنيَّتهم في الخَرق ؟!**

والجواب: أنهم عرفوا ذلك بأمرين:

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٠٢٤)، وابن ماجه: ك: ، ب: ، ح (٤٢٢٨)، وصحَّحه الألباني.

الأول: بقولهم: **{لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا}** حتى لا نؤذي مِنْ في فوقنا.

والثاني: بانقطاعهم عن طلب الماء، وعدم صعودهم لهم لجلبه.

❁ ❁ ❁

الدرس الثالث والثلاثون: أثر الذنوب والمعاصي في هدم الأمم والشعوب:

إنَّ الفساد والإفساد والمعاصي والحماقات وعدم تقدير العواقب كلها سفول للأمة، وحطٌّ من قدرها، وتضييع لثرواتها، وتعمل في الأمَّة على هدمها أكثر مما يعمل الأعداء فيها.

• **فخرق السفينة**: عمل إجرامي، ومعصية، وإفساد في الأرض، والسكوت عنه جريمة أبشع منه، ومشاركة لهم في الإفساد والفساد، والساكت عن الحق شيطان أخرس، والشيطان الأخرس ضرره أشدُّ مِنَ الشيطان المتكلم.

• **وخرق السفينة**: عمل يدل على سفول صاحبه وانحطاطه وحماقته، وعدم إدراكه لعواقب الأمور، وكما قلنا لا ينفع مع ذلك الفعل نوايا حسنة أو مبررات فكلها غير مقبولة، ولا ينفع معه إذا وقع إلَّا: التوبة وإصلاح ما فسد، والسرعة في علاج الخلل، وتقديم العذر للآخرين بسبب تعطيل سيرهم.

❁ ❁ ❁

الدرس الرابع والثلاثون:

في هذا الحديث دلالة على علوِّ الإيمان وعزَّة أهله، وأنهم لا يسألون الناس، وفيه أيضًا دلالة على الإيثار وإنفاق شيء من الحقوق لنيل البرِّ، عملًا بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران]، وفي دلالة أيضًا: على سعة صدور أهل الإيمان، وتعاونهم على البرِّ والتقوى، وفيه دلالة أيضًا على أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وأنَّ القوة من علامات الإيمان الصحيح؛ لأنهم إنْ لم يكونوا أقوياء، فكيف يأخذون على أيديهم ويمنعونهم من خرق السفينة، وأن الكلمة التي يجب أن تكون مسموعة وعالية هي: كلمة الحق، والحق لا بُدَّ أن تحرسه وترعاه قوة، وإلَّا لا هيبة له.

• وفيه أيضًا دلالة على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وتفكيرهم وإيمانهم، وفيه دعوة للهمة في العمل، واحترام مشاعر الآخرين وحقوقهم.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

الدرس الخامس والثلاثون:

أنَّ المحافظة على الممتلكات العامة ومقدَّرات الأمَّة وثرواتها مسؤوليَّة الجميع، وواجب على الأفراد والجماعات والحكومات.

ووجوب العمل على رِفْعَة الأمَّة، وعدم تعطيل سيرها من الواجبات الشرعيَّة، وأن الأمَّة المسلمة لا يعوق مسيرة تقدمها ونهضتها القلة المفسدة إذا وجدت من أهل الحق اليقظة لهم، والتصدي لآمالهم التخريبيَّة والإجراميَّة.

• والخيانة لله ولرسوله وللمسلمين هي مِنْ أعمال المنافقين، وإنْ تظاهر أصحابها بالإسلام والصلاح.

• وخرق السفينة يشبه إلى حَدٍّ كبير حادثة مسجد الضِّرار الذي بناه المنافقون: كفرًا، وتفريقًا بين المسلمين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، ثم يقومون بدعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بافتتاحه، ويحلفون بالله إنْ أردنا إلَّا إحسانًا وتوفيقًا، وذلك حالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء]، وعندما تقع لهم مصيبة جراء أفعالهم ونواياهم الخبيثة ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة:٧٤].

• ووجه الشَّبَهِ أنه من المحتمل أن يكون الذين في أسفلها بينهم منافقون، وشياطين إنس يريدون أن تغرق الأمَّة كلها، ويتعلَّلون بالحسنى: أننا لا نريد أن نؤذي من فوقنا، وإن حسن النيَّة لا يبرئ العمل الفاسد.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة].

❁ ❁ ❁

الدرس السادس والثلاثون: خرق السفينة بالأفكار:

• الفكر هو الذي يقود الإنسان إلى العمل، والفكر إذا استقام استقام العمل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا

﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

• ومِنَ الأخطار التي تعمل على خرق السفينة وغرق الأمَّة أن تستورد الأمَّة مناهج لحياتها من أعدائها، ويا ليت هذه النظم والمناهج لا تتعارض مع شريعتنا، والأعجب من ذلك أن يتشبه ويفتخر الكثير من أبناء الأمَّة المسلمة بما عليه الغرب من كفر وجحود واستكبار وعلوٍّ في الأرض وفساد.

• ومِنَ العجب أنْ تلجأ الأمَّة المسلمة وبعض دولها إلى الغرب للتحاكم إليه مِنْ خلال المحكمة المسمَّاة زورًا وبهتانًا: (محكمة العدل الدوليَّة)، وإلى المسمَّى زورًا وبهتانًا (مجلس الأمن)، وكلاهما يكيل بمكيالين، وهم على طول الخط أعداء لهذه الأمَّة المباركة الخاتمة.

• ومِنَ الأفكار التي تخرق السفينة: الليبراليَّة، والعَلمانيَّة، والدولة المدنيَّة، والحقوق المدنيَّة، والمواطنة، والأصوليَّة، والإرهاب، والحداثة، وقرارات مؤتمر السكان، والاشتراكيَّة والديمقراطيَّة، والرأسماليَّة، وأحدث أساليب الخداع فيما يُسمى بالبرمجة اللغويَّة العصبيَّة، والعلاج بخط الزمن والتنويم المغناطيسي، والتنمية البشريَّة الغربيَّة بعبلها وروثها، وتكلُّم الرويبضة والتافه في أمر العامَّة، وغير ذلك.

الدرس السابع والثلاثون: من أعمال خرق السفينة بالأفعال:

• المظاهرات التي تهدف إلى الإضرار بمصالح الخلق، فالأمَّة المسلمة لم تعرفها إلَّا مستوردة من الغرب، ولقد استوردنا فيها مساوئها، وتركنا منها مزاياها.

فإذا كان الخروج للمظاهرات تقليدًا للغرب، وظنًّا منهم أنها من المنهج الديمقراطي فبئست هي، وإن كانت للإصلاح وإنكار المنكر، وظهور الكفر البواح، وتحت إمرة صالحة فنعمت هي، ولابأس بها.

فالمهم هو: النيَّة الصالحة، ومَن يوجِّهُها، وألا يُرتكَب فيها محرَّم.

• الاضطرابات والاعتصامات الفئويَّة، مع أن المرء في الظروف الصعبة قد يتنازل عن بعض حقوقه من أجل المصلحة العامة، ولا العكس.

• تعطيل الطرق والمواصلات العامة والسكك الحديديَّة، مما يعطل مصالح الناس وأعمالهم.

• حرق الممتلكات العامة والخاصة.

• إشاعة الفوضى والبلطجة (الحِرابة)، وترويع الآمنين.

• الجرأة والحرص على العنف بلا مبرر في قمع المتظاهرين السِّلْميِّين.

obeikandl.com

• بثُّ الشائعات، والإعلام الكاذب الذي جعل العدو صديقًا حميمًا، وجعل أبناء القطر الواحد أعداءً وخَوَنَةً، وفرَّق الناس شِيَعًا وأحزابًا.

• الخيانة والعمالة مِنْ أجل دراهم معدودة.

• فرض الباطل بالكثرة العدديَّة.

• رفع السلاح واستعماله لا ضدَّ الأعداء ولكن ضدَّ الأبناء والإخوان والأصدقاء.

• تعطيل مسيرة الأمة، والعمل على إضعافها إرضاءً للأعداء والخصوم.

• وأخطرها على الإطلاق: إشاعة الفواحش، والوقوع في المحرمات، وحماية الشرك والباطل، والفجور والإجرام.

كل ذلك وغيره من وسائل خرق السفينة، ومن أعمال الإفساد في الأرض، ومحاربة الله ورسوله وأهل الإيمان.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com

الدرس الثامن والثلاثون: الميزان العادل:

سبب نشأة المشكلة في سفينة النجاة هو الخلل في الميزان، ووزن الأمور بغير الميزان العادل، والحقد والحسد للناجحين والمتميِّزين، والطمع إمَّا في الإستيلاء على الحكم والقيادة، أو خرق السفينة من بمنطق (عليَّ وعلى أعدائي).

ومن هذا المنطلق كان عمل كثير من الجبهات والمنظمات والتكتلات تحت مسمَّيات عديدة قد تُسمَّى جبهة الخراب للوطن، والخيانة للوطن.

- وإذا سألتهم: **ماذا تريدون؟ وهل أنتم أفضل وأعقل وأخلص وأصدق وأصلح ممن اختاره اللّه تعالى لحكم البلاد؟ وهل هؤلاء هبطوا علينا من كوكب آخر، وليسوا أبناء بلد واحد، وفيهم ذوو قرابة لكم وأصحاب مصاهرة، وجيران؟**

- **أم تحاربونهم من أجل فِكْرهم، فأنتم أصحاب فكر، أم تحاربونهم لأنهم أصحاب مصالح، فأنتم أيضًا أصحاب مصالح؟**

- **أم تحاربونهم لماضيهم، فأنتم أصحاب ماضٍ أسوأ منهم؟**

- **أم تحاربونهم لأنهم أصحاب ديانة وإسلام، فأنتم إن لم تكونوا أصحاب ديانة وإسلام فماذا تكونون؟! كُفارًا، أو فساقًا، أو منافقين!**

• **أم تحاربونهم لكي لا يتحقق على أيديهم مشروع النهضة، فأنتم ماذا سوف يتحقق على أيديهم سوى مشروع الخراب وعودة الظالمين والمفسدين.**

• **ناشدناكم الله تعالى ألا تخرقوا سفينة الأمة، وألا تكونوا أنتم السبب في إغراقها، ولكنكم صممتم آذانكم، ومضيتم في غيِّكم وضلالكم، حتى غرقت السفينة وسالت الدماء، وانتشر الفساد .**

❁ ❁ ❁

الدرس التاسع والثلاثون: سبل الأمن والنجاة:

لكل سفينة أطواق نجاة يستخدمها الركاب عند الغرق لتكون سببًا بعد الله ﷻ في سلامة الراكبين عليها. **فما أطواق النجاة في سفينة الأمّة الإسلاميّة ؟!** إنها تتمثَّل فيما يلي:

١- إقامة الحدود، وتحكيم الشريعة، ومحاربة الفساد والكفر العملي من: [القتل بغير حق، والزنا، والخمر، والربا، وشهادة الزور، وقذف المحصنات، وإشاعة الفواحش، والتبرُّج، والغشِّ، والرشوة، والخيانة].

٢- إقامة العدل لتحقيق الأمن.

٣- الاهتمام بالتعليم: لأن العلم يغلق الباب على الجُهَّال وأصحاب الحماقات، ويؤهِّلهم لاختراع أساليب جديدة تضمَن عدم إيذاء الآخرين.

وإعادة النظر في منظومة التعليم، والعمل على أن تكون من أهم

أسباب الرُّقي والتقدم.

فلماذا لا تكون نسب الطلبة الناجحين في الثانويَّة مثلًا كما يلي:

٢٥٪ يدخلون الجامعات، وبنِسَبٍ حسب احتياجات المجتمع.

٧٥٪ يتوجهون إلى التعليم المهني والفني حسب احتياجات المصانع والشركات، (أي عودة التلمذة الصناعيَّة ومراكز التدريب المهني) ثم يخضع هؤلاء إلى دورات تدريبيَّة للجودة والتطوير والتحديث حتى يتساوى مع خريج الجامعة بعد عشر سنوات مثلًا حسب خطة مدروسة، ويحق له الاشتراك في النقابة كخريج الجامعة تمامًا.

٤- اليَقَظة والحذر من الأعداء: فهل تعلم أن مصر منذ ثلاثين عامًا كانت تستورد القمح من أمريكا، والتي زرعته في أراضٍ أقيم عليها تجارب نوويَّة، وكان هذا من أهم أسباب انتشار السرطان في مصر. [وهذا كلام أ.د. **محمد علي أحمد** أستاذ النانوتكنولوجي وعلوم المواد بكليَّة العلوم جامعة القاهرة] في محاضرة له بعنوان: النانوتكنولوجي في صالون د. حامد طاهر في يوم الإثنين الثاني من شهر مارس عام ٢٠١٣م].

٥- الاهتمام بتعريب العلوم الحديثة، والعمل على تطويرها من حيث انتهى إليها الآخرون.

٦- المحافظة على هُويتنا الإسلاميَّة والعربيَّة، والعمل على إقامة الاتحاد الإسلامي بين الدول العربيَّة والإسلاميَّة، وإلغاء الحدود بينها، وإقامة الطرق والجسور والسكك الحديديَّة الدوليَّة بينها، وتحرير التجارة وحركة الأفراد فيما بينهم.

٧- العمل على بناء الإنسان الذي يبني الحضارة بناءًا قويمًا قويًّا كما علَّمنا الله تعالى في كتابه وسُنَّة نبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم أجد أعظم من القرآن والسُّنَّة في بناء الإنسان إذا ما قورن بغيره من مناهج البشر.

٨- نشر الإسلام وتصدير الهداية للآخرين في كل أنحاء العالم لإنقاذ البشريَّة والعمل على سعادتها، وسلامتها من الماديَّة الجارفة التي أهلكت الحرث والنسل، وهذ هي أهم مهمَّات الأمَّة الإسلاميَّة، ودورها المنوط بها لكونها صاحبة الكتاب الخاتم (القرآن الكريم)، والنَّبي الخاتم (سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولكونها الأمَّة الخاتمة.

٩- العمل على تحقيق التقوى بين العباد، لأنها من أهم أسباب فتح الله تعالى عليهم من بركات السماء والأرض، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾**﴾ [الأعراف].

١٠- العمل بنظام الثواب والعقاب، وأن لكل مجتهد نصيب، وأنه لا مكان بيننا للكسالى وأصحاب الأماني بدون جهد وعمل.

١١- عدم طاعة الكافرين والمنافقين، وعدم الالتفات إليهم عند إقامة الدين، ومصالح الدنيا. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب].

❁ ❁ ❁

الدرس الأربعون: مسك الختام:

• **كم خسرت الأمَّة الإسلاميَّة بتجاهلها لتعاليم نبيِّها محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وبالمجاملات على حساب دينها ؟!**

فعليه أُنزل الشرع الحكيم، وبه هدانا الله تعالى إلى الصراط المستقيم، وأرسله الله رحمة لنا وللعالمين، وأخرجنا الله تعالى به من الظلمات إلى النور؛ لأن الله تعالى بالناس رؤوف رحيم.

• **وهل يمكن للأمة المسلمة في سفينة النجاة أن تختار ربَّانا أو قبطانا، أو قائدًا، أو قدوة لها أفضل من النَّبي محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **؟!**

إذا كنا سلَّمنا أن من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى دخولها، وقبلنا قيادته لنا إلى ربنا على صراطه المستقيم حتى الجنة إن شاءا لله، **أفلا نقبله لدنيانا، ولقيادة سفينة النجاة ؟!**

• مع أنه القائل: { أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ }[1]. ليطلق لنا زمام المبادرة للتطوير والتحديث والاختراع والتقدم بشرط أن تحاط هذه الشؤون الدنيويَّة بسياج من الدين، حتى تكون وسطًا بين اثنين هلكوا وأهلكوا العالم، وهما:

ماديَّة: سخَّرت الناس، وجعلتهم في دوامة وكرب، وشقاء وعناء، ليل نهار، ليواكبوا تكاليف الحياة الرأسماليَّة الباهظة.

إلحاديَّة: كافرة استعبدت الناس وسلبتهم ممتلكاتهم وجعلتهم كالعبيد.

• وصارت الراية الوحيدة المرفوعة العالية الخفَّاقة هي راية سفينة النجاة؛ لأنها اتصفَّت بالتوازن بين أمور الدنيا والآخرة، بين الدين والدنيا، بين متطلبات الجسد ومتطلَّبات الروح، بين العقل والنقل، بين الغيب والشهادة.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفضائل، ب: وجوب امتثال ما قاله، ح (٢٣٦٣).

وصدق **ابنُ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حينَ قالَ: «**اعْمَلْ لِلدُّنْيَا كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ، كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا**» (١).

وقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**احْرِزْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا** »(٢).

❁ ❁ ❁

هذا وبالله التوفيق، فما كان مني مِنْ خطأٍ ونسيان، فمني ومن الشيطانِ، واللهُ ورسولُه منه بَراء، وأتوب إلى الله منه، وأعتذر إليه، وأطلب عفوه ورحمته، وما كان من توفيق وسداد فمن الله وحده، له الفضل وحده، وإليه يرجع الأمر كلُّه.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أسامة بن محمد بدوي البراجة

❁ ❁ ❁

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسيَّة للشجري الجرجاني (٢٢٤٢).

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١٠٩٣)، انظر كلام الشيخ الألباني في الحديث بالسلسلة الضعيفة، برقم (٨).

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

المُقَدِّمَةُ..... ٣
حديثُ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٧
الدَّرْسُ الأَوَّلُ: التشبيه في الأمثال النبويَّة..... ٩
الدَّرْسُ الثَّانِي: أن الذي يقع في الحدِّ يكشف السِّتر..... ١٣
الدَّرْسُ الثَّالِثُ: استواء القريب والبعيد في إقامة الحدود..... ١٥
الدَّرْسُ الرَّابِعُ: في إقامة الحدود تعجيل ثمرة السياسة..... ١٦
الدَّرْسُ الخَامِسُ: إقامة الحدود ولاية مخصوصة بالسلطان، والقضاة.... ١٩
الدَّرْسُ السَّادِسُ: لا رأفة في الحدود..... ٢١
الدَّرْسُ السَّابِعُ: تعريف الحد..... ٢٢
الدَّرْسُ الثَّامِنُ: { مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ }..... ٢٥
الدَّرْسُ التَّاسِعُ: { كَمَثَلِ قَوْمٍ }..... ٢٦
الدَّرْسُ العاشِرُ: { اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ }..... ٣٠
الدَّرْسُ الحادِي عَشَرَ: { عَلَى سَفِينَةٍ }..... ٣٢
الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾..... ٣٣

obeikandi.com

الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ: { فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ }.....٣٥

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ:{ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا }.....٣٧

الدَّرْسُ الْخَامِسَ عَشَرَ: احترام ملكيَّة الآخرين ومشاعرهم ٣٩

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ: الفساد في الأرض لا يمكن تعليله ٤١

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ: مع موسى والخضر..... ٤٢

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ: سفينة ذي النون عَلَيْهِ السَّلَامُ.....٤٣

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ: حدود الحريَّة فيما نملك.....٤٥

الدَّرْسُ العِشْرونَ: الحريَّة الشخصيَّة، ومصالح الآخرين..... ٤٧

الدَّرْسُ الحادِي والعِشْرونَ: القلة والكثرة ٤٨

الدَّرْسُ الثَّانِي والعِشْرونَ: سنة الهلاك.....٥١

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ: السفينة وأطواق النجاة ٥٢

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرونَ: سر بقاء الأمة ودوام خيريتها.....٥٥

الدَّرْسُ الْخَامِسُ والعِشْرونَ: {أَخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ}.....٥٥

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ: قوة الإقناع..... ٥٦

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ: وجهة الأمة ٥٩

obeikandl.com

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ: القيادة الناجحة ٦٠
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ: وسائل الأمن والمتانة والسلامة ٦٢
الدَّرْسُ الثَّلاثونَ: الصلاح لا يكفي ٦٣
الدَّرْسُ الحادِي والثَّلاثُونَ: لا كاشف لها إلا الله ٦٦
الدَّرْسُ الثَّانِي والثَّلاثُونَ: { فإن تركوهم وما أرادوا } ٦٧
الدَّرْسُ الثَّالِثُ والثَّلاثُونَ: أثر الذنوب والمعاصي في هدم الأمم ٧٠
الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثُونَ..... ٧١
الدَّرْسُ الخَامِسُ والثَّلاثُونَ..... ٧٢
الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثُونَ: خرق السفينة بالأفكار..... ٧٣
الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثُونَ: خرق السفينة بالأفعال..... ٧٥
الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ: الميزان العادل ٧٧
الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثُونَ: سبل الأمن والنجاة..... ٧٨
الدَّرْسُ الأربَعونَ: مسك الختام..... ٨١
الفهرس ٨٥

انتهى بحمد الله تعالى

openkanaan.com